منها كثيرًا بحيث يكفي لتحريكهِ ان يُرفع طرف قدمٍ فقدم فترتفع المروحة او تهبط بمجرَّد ثقل القدم الاخرى

خواطر مستطرفة
في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تابع لما في الجزء التاسع)

— ٥ —

اما فلسفة تأثيرها فالموسيقى لغة النفس تعبر بالحانها عن وجدان ملحنّها او مؤلفها فيدركها وجدان السامع ويتأثر بمثل تأثر وجدان المرنم او المؤلف فاذا غنى المغني بلحن مفرح واجاد فيهِ كان هو فَرِحاً بالفعل وشاركهُ السامعون في فرحهِ لان وجدان الفرح يتحرك في قلب السامع محاكاةً لوجدان المغني الذي دلّ عليهِ لحنهُ . وكذلك الحزين اذا غنى بلحنٍ محزن كالحجاز حزن معهُ سامعوهُ لتأثرهم من لحنهِ الشجي واذا تذكر الصب الولهان احباءَهُ وحنَّ اليهم وغنى بلحن يوافق هذه الحالة كلحن الصبا مثلاً حنّ السامع مثلهُ اذا كان لهُ من يحنّ اليهِ فترى من ذلك ان اصناف الوجدان تتفاهم بالالحان . ثم اذا كلفت مغنياً حزيناً ان يغني لحناً مفرحاً فقد لا يجيد فيهِ لان وجدانهُ يستميل غناءَهُ عن اللحن المفرح الى لحنٍ شجيٍّ محزن ولذا كان المغني يميل الى الالحان التي تطابق حالتهُ وتعبّر عن وجدانهِ . الا ترى انك تترنم احياناً بلحن تحبهُ فلا يلذ لك فتعدل عنهُ الى غيرهِ وقد لا يلذ

لك حينئذٍ الا لحنٌ قلما تميل اليهِ لانهُ لاءَم حالتك وعبر عن الوجدان الذي انت فيهِ

واذا كُلِّف العازف ان يعزف بلحن لم يألفهُ بعد فيتأثر هو منهُ كغيرهِ من السامعين طبقاً لما كانت عليهِ حالة المؤلف ساعة ألَّفهُ ولا يخفى ان اساس وضع الالحان انما هو الوجدان فكما تكون حالة المؤلف يكون اللحن طبعاً فان كان المؤلف مسروراً جاءَ اللحن مفرحاً وان كان حزيناً كان اللحن محزناً

اعلم ان هذه الاعتبارات دقيقة قد لا يدركها او يميزها حق تمييزها الا من كان موسيقيَّ الطبع لان الناس مختلفو الذوق من هذا القبيل فمنهم من لا يميز بين الالحان فتكون كلها في ذوقهِ متشابهة وهناك افرادٌ لا يفرقون بين السلم الموسيقي الصحيح والسلم المختلّ بل قد لا يميز بعضهم بين الصوت العالي والسافل . وبالعكس من الناس من يلاحظ ادق الحركات الموسيقية ويشعر باقل خلل يقع في اللحن او في السلم ومنهم من يتم اللحن الذي يجهلهُ من نفسهِ اذا وقف مرنمهُ على ما قبل الجزء الاخير منهُ كما يكمل الشاعر القافية من نفسهِ اذا أُلقي عليهِ بيت من الشعر دون القافية . ولمهرة الموسيقيين من هذا القبيل نوادر في غاية الدقة والغرابة كما ان للموسيقي الطبع ولوعاً شديداً بسماع الغناء والتطريب حتى تراهم يؤثرون محافل الطرب على كل محفل ويفوتون اعز الاوطار عليهم في سبيل سماع الالحان وينفعلون بها انفعالاً شديداً فتراهم يتلوون مع الالحان تلوّي الغصون مع النسيم . والذي يحضر محافل الطرب في هذه العاصمة ويرى

حركات الحضور ويسمع صراخهم « آه » ونحوها عند ختام كل جملة موسيقية لا يخامرهُ ادنى ريب في هذا القول

- ٦ -

اما موضوع هذا الفن فانهُ يُبحث فيهِ عن تأليف الالحان وايقاعها والترنيم والعزف بها . واللحن عبارةٌ موسيقية مؤلفة من عدة نَغَمٍ تختلف في المدة والحدة كما سيأتي ايضاحهُ . والنَغَمة صوتٌ موسيقيٌّ يلبث زماناً على درجة معلومة من الحدة . فاللحن من الموسيقى كالقصيدة من الشعر والنَغَم للحن كالحروف للكلام . والصوت نتيجة تموج الهوآء باهتزاز الاجسام الصائتة . فاذا ضُربَ وترٌ يهتزُّ اهتزازاتٍ متساوية المدة فيتموج الهوآء المحيط بهِ الى ان يبلغ غشآء السمع فيرجّهُ فتنقل الاعصاب السمعية ذلك الصوت الى الدماغ مقر الادراك . وكلما كانت الاهتزازات سريعة كان الصوت حاداً (عالياً) ودقيقاً والعكس بالعكس . وتتوقف سرعة الاهتزازات في ذوات الاوتار على طول الوتر واشتدادهِ ودقتهِ فالوتر الدقيق القصير المشدود كثيراً احدّ صوتاً وادقّ واعلى والوتر الثخين الطويل المشدود قليلاً اضخم صوتاً واخفض . وفي ذوات النفخ يعتبر العمود الهوآئي في الانبوب كالوتر فتجري عليهِ احكامهُ المذكورة . وعلى ذلك كانت الاوتار الصوتية في الانسان تشتدّ وترتخي وتطول وتقصر وتدقّ وتغلظ على هذا النمط

والفرق بين الصوت الموسيقي وغيرهِ ان تفاوت الاصوات الموسيقية في عدد الاهتزازات محدود غير متغير كما يجيءُ في الكلام على السلَّم الموسيقي

فاذا شذّ عنهُ لم يُعدّ الصوت موسيقياً . وهذا التفاوت الثابت هو اساس ما يسمى بالدوزان ولذلك ترى صاحب القانون مثلاً لا يشدّ اوتارهُ مجازفة بل على قياس مفهوم في ذهنهِ وهو السلم الموسيقي . نعم ان المدوْزِن لا يعلم عدد اهتزازات كل وتر في الثانية ولكن متى ضبط دوزانهُ ثم عُدَّت اهتزازات كل وتر باحدى الطرق المعروفة عند علمآء الصوت وُجد ذلك التفاوت في عدد الاهتزازات صحيحاً كما يجب . اما الاصوات غير الموسيقية كالكلام ونحوهِ فالتفاوت بين طبقات حدّتها الناجمة عن تفاوت عدد الاهتزازات غير منتظم ولا مستقرّ على نسبةٍ معلومة ولهذا فليس فيهِ مزية الاطراب التي في الاصوات الموسيقية . ولامتحان ذلك اضرب على القانون اذ يكون دوزانهُ صحيحاً ما شئت غير متعمدٍ لحناً مخصوصاً ثم اضرب عليهِ كذلك اذ يكون الدوزان غير صحيح فترى ان الاصوات في الحالة الاولى اوقع منها في الحالة الثانية وان كان الضرب جارياً على غير لحن

- ٧ -

اما السلم الموسيقي فيتألف من انغام متناسبة على مقادير محدودة . ولبيان ذلك نقول اذا ضُرب وتران متشابهان في الطول والثخن ومشدودان شدًّا متساوياً كانت اهتزازاتهما بالطبع متساوية العدد في مدة معلومة وكانت نغمتاهما متوافقتين توافقاً تاماً حتى لا يفرق السامع بينهما بل يظنهما نغمةً واحدةً . واذا شُدّ احدهما اكثر من الآخر الى ان تصير اهتزازات الاول ضعفي اهتزازات الآخر اتفقت نغمتاهما ايضاً اتفاقاً مقبولاً في السمع ولكن يظهر بينهما الفرق بالحدة والضخامة اي يكون الاول ادقّ من

الآخر واحدٌ لان ضخامتهُ تكون نصف ضخامة الآخر وحدّتهُ ضعفي حدّتهِ . اما سبب اتفاقهما المقبول فهو تناسب الاهتزاز بينهما حتى اذا خطر الاول خطرتين خطر الآخر خطرة فتتطابق تموجات الهوآء الحادثة عن اهتزازهما واذا لم تكن اهتزازات الأول ضعفي اهتزازات الآخر فلا تتفق النغمتان اتفاقهما في الحالة السابقة . ولايضاح ذلك اذا كان الأول يهتز مئتي اهتزازة في الثانية والآخر مئة وعشرين مثلاً كان كلما اهتز الاول اهتزازتين اهتز الآخر اهتزازة وخمساً فاختلف موقع اهتزازات الواحد من اهتزازات الآخر بحيث تكون تموجات الهوآء غير متطابقة ولذلك تسمع النغمتان متنافرتين . وهكذا اذا كانت اهتزازات احد الوترين اضعاف اهتزازات الآخر حصل الوفاق المذكور ولكن يكون الفرق بالحدة والدقة بينهما بقدر التضعيف . وقد يحصل وفاق مقبول بعض القبول بغير التضعيف كما لو خطر كلاهما في وقت واحد الاول ثلاث خطرات والآخر خطرتين

ثم ان نغمة الوتر الذي يهتزّ ضعفي اهتزاز الآخر تدعى جواباً لنغمة هذا الآخر ونغمة هذا تدعى قراراً لنغمة ذاك . فيرى من ذلك ان القرار والجواب طبيعيان لما علمناهُ من التناسب وتطابق التموجات كما مرّ آنفاً

والسلّم الموسيقي يؤلف عادةً من سبع نغمات تتوالى من القرار الى الجواب كدرجات السلم ولكن التفاوت بينها غير متساوٍ في كلها بل يختلف في بعضها كثيراً في السلم الافرنجي وقليلاً في السلم العربي كما سيجيء . وجواب السلم يكون قراراً لسلم اعلى وقرارهُ يكون جواباً لسلم ادنى . وهكذا يمكن ان يتألف من الاصوات الموسيقية سلالم غير متناهية بالقوة وان

تناهت بالفعل وكل سلّم جوابٌ لما دونهُ وقرارٌ لما فوقهُ اي كل درجة منهُ كذلك فالثالثة مثلاً من سلم الجواب جوابٌ للثالثة من سلم القرار وهكذا سائر الدرجات وصوت الانسان الطبيعي مهما كان حسناً وقوياً لا يتألف منهُ اكثر من ثلاثة سلالم الا نادراً واما بعض الآلات فيتألف فيها اكثر من ذلك كثيراً او قليلاً (ستأتي البقية)

متفرّقات

صنع الورق في سيام — وصف بعضهم صنع الورق في هذه البلاد فقال انهم يصنعونهُ من لحآء شجرٍ يسمى التوكوا يقطعون اغصانهُ الطريئة وينقعونها في المآء مدة ثلاثة ايام ثم ينزعون لحآءها ويجعلونهُ في المآء ايضاً مدة ثلاثة ايام اخر او اربعة وبعد تنقيتهِ يعرّضونهُ مدة يومين لحرارة نارٍ ضعيفة ويذرّون عليهِ شيئاً من مسحوق الجير ثم يعيدونهُ الى المآء في جرارٍ من الخزف ويضيفون اليهِ من مسحوق الجير اكثر من المرة الاولى ويتركونهُ كذلك بضعة ايام ثم يخرجونهُ ويغسلونهُ حتى يزول منهُ الجير ويطرقونهُ بمطرقةٍ حتى يصير اشبه بعجينةٍ ناعمة . وحينئذٍ يأخذون شبه غربالٍ من الشبك في كفافٍ (برواز) مربع طولهُ متر و ٨٠ سنتيمتراً في عرض ٤٠ ويفرغون تلك العجينة في الغربال بعد ان يعيدوا عجنها بالمآء ويسوّون الطبقة في ثخانةٍ واحدة ثم يدلكون العجينة بمطلمةٍ (شوبق) حتى